اللّغة الإعلاميّة من منظور قيّمي

أ. احسن خشة
قسم العلوم الإنسانية جامعة قالمة - الجزائر

مقدمة

تعبر وسائل الإعلام عن الموضوعات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية والثقافية والدينية وغيرها بطرق متعددة، وقد تقتبس مصطلحات أجنبية فتترجمها دون الانتباه والتمعن في دلالاتها والقيم والتي تحملها، وكذا الانعكاسات التي تترتب عنها فرديا وجماعيا.

لذلك فان الوقوف على دلالات هذه اللغة وتتبع معانيها واستخداماتها في أمكنة مختلفة وأزمنة مختلفة، يمكننا من استكشاف الكثير من المقاصد وأساليب الإعلام في صناعة الرأي العام أو توجيهه والتأثير عليه.

ولقد بلغ الاستخدام العشوائي أو المقصود لبعض المصطلحات في وسائل الإعلام حدا كبيرا، يفتقد في أحيان كثيرة إلى التبصر في المعاني التي تحملها، ومدى تحقيقها للمصلحة الاجتماعية والفردية، لذلك نحاول في هذه المقال استعراض بعض المصطلحات المتداولة إعلاميا، مع توضيح الدلالات التي تحملها والمخاطر على المجتمع التي تكتنف استعمالاتها إعلاميا.

ونهدف من خلال هذا المقال إلى توضيح التحريف الذي يشوب المعنى الحقيقي الذي تتضمنه بعض المصطلحات والتعابير السائدة في وسائل الإعلام، والتي تمارس سلطتها على المتلقي، فتصرفه عن إدراك الأشياء على حقيقتها، أو تذهب به بعيدا عن خصوصياته الثقافية والحضارية.

والمنهجية التي اعتمدها في ذلك هو تقديم نماذج من هذه التعابير والمصطلحات المتداولة إعلاميا، وتصنيفها في مجالات معينة، ثم ربط المعاني التي تشير إليها بالمعاني والدلالات الحقيقية المفترضة اعتمادا على مرجعية قيمية.

أولا: اللغة الإعلامية وقابلية التضليل الإعلامي.

إن اللغة في الوجود أداة مطلقة، ولكنها في الإعلام وظيفة متحكمة[1] ويتجلى ذلك في السلطة التي تمارسها على المتلقي فتجعله يدرك الأشياء بالطريقة التي تحددها له، سواء أكانت حقيقية أم مضللة.

"واللغة ذات مؤثرات دلالية يحققها المعنى الحسن، ومؤثرات لفظية يحققها نظام الصنعة اللفظية، وما تتمتع به الألفاظ من خصائص أسلوبية تزيدها جمالا في تراكيبها السياقية "[2].

وتكمن أهمية اللغة الإعلامية في كونها توجه عبر وسائل الإعلام، إلى قطاعات واسعة من الجماهير، على اختلاف مستوياتهم سواء أكانوا من النخبة أو من عامة الناس.

والمؤكد أن الواقع الذي تقدمه وسائل الإعلام هو واقع رمزي ينقل الأحداث والوقائع والظواهر ويعبر عنها باللغة التي لا تتطابق أحيانا مع الواقع الفعلي أو الحقيقة المفترضة، ناهيك عن الاعتبارات الأخرى المرتبطة بالخلفية الإيديولوجية لرجل الإعلام وانعكاساتها على طريقة الصياغة والكلمات التي ينتقيها في التعبير عن الواقع.

إن "اللغة علامات ولكنها علامات تدل إذا حضرت وتدل إذا غابت، وعندما تحضر قد تدل بما تقول، وقد تدل بما توحي به دون أن تقوله، وربما أوهمت أنها تقول وتعرف أن المتلقي سيستدرجه إيهامها، ولكنها تحتفظ بما به تنكر أنها أوهمت[3].

ومما لا ريب فيه أن عملية إبداع التعبيرات المناسبة إعلاميا، والتي تؤدي الغرض اجتماعيا ليست عملية هينة، ولا تقوم على فعل إعلامي عابر مثلما يعتقد البعض، بل هي نتاج جهد يقوم به مختصون ببراعة كبيرة، تخفي ورائها خلفيات مبدعيها ومآربهم.

تستخدم وسائل الإعلام تعبيرات مختلفة مثل: هزيمة بطعم الفوز، هزيمة مشرفة، وهـــي من قبيل التلاعب بالألفاظ الذي يؤثر في نفسية المتلقي، وتجعله يتقبل الوضع ولا يسهم في تغييره، أو يكون سلبيا تجاهه، كما تسمي أشياء عديدة بغير مسمياتها فتسمي "العـــدوان" دفاعا عن النفس، وتطلق على التراجع والانهزام والانسحاب"إعادة انتشار"، وتطلق علـــى الخمر الذي يذهب بالعقل ويفتك بالصحة "مشروبات روحية"، وتصف الربا الذي ينخـــر اقتصاد الأمة ويكرس التباين الكبير بين الفقراء والأغنياء "فوائد"، وتنعت الاحتلال الظـــالم الذي يهلك الحرث والنسل بـــ"استعمار"، كما تدمج مفردات متناقضة تنتزعها من سياقها الأصلي مثل "النيران الصديقة"، "الأم العازبة" وهي تعبيرات مضللة لا تعكس المعنى الحقيقي وتلتف على المقصود الفعلي.

ويعتمد التضليل على ما تتيحه وسائل الإعلام من إمكانيات للاحتواء والاســـتقطاب والتأثير والتخدير أيضا.

إن التضليل الذي تمارسه وسائل الإعلام يتجلى في عدة مظاهر " منها ما هو عقلـــي، ومنها ماهو كلامي، أكان لفظيا أو خطيا أو مسموعا، ومنها ماهو سيكولوجي، ومنـــها ماهو مشهدي، ومنها ماهو الكتروني عبر شبكات الانترنت"[4]

وتلعب الاستعدادات التي يمتلكها الإنسان دورا لا يستهان به في عملية التأثير، بحيث أنها تشكل أرضية خصبة ينطلق منها صاحب المصلحة في تضليل الآخرين.

ويستهدف التضليل المكونات العقلية للإنسان، والعقل الإنساني يتعرض للتضليل مـــن خلال أسباب متعددة، إما بأمراض عضوية قد تصيبه، وإما بسبب النسيان والتشتت وعدم التركيز، وإما لعدم قدرته على الاستيعاب والمعرفة، أو لعدم تمكنه من الإدراك والإحاطـــة بالقضايا المنطقية، وبالمنهجية: كالتحليل والتعليل والتركيب والاستقراء والـــربط الســـببي. فالناس بغالبيتهم لا يحبون الغوص والتعمق بالقضايا المنهجية والمنطقية الشائكة، إنما ينجذبون إلى ما يطيب لهم، وما يطابق تمنياتهم السيكولوجية من كلام"[5]

ثانيا: **نماذج من تضليل اللغة الإعلامية**

هناك أمثلة كثيرة تشير إلى التضليل الإعلامي من خلال الصياغة اللغوية المستخدمة، وتتوزع في مجالات متعددة: تاريخية، سياسية، دينية، لغوية، عسكرية، اقتصادية، اجتماعية، وفي مجالات أخرى.

1ـ**تعبيرات المجال التاريخي**:

أ- **الاستعمار**: لقد ورد في القران الكريم قوله تعالى: "**هو الذي أنشأكم من الأرض واستعمركم فيها**" سورة هود، الآية 61، ولفظ "الاستعمار" يدل هنا على معنى استصلاح الأرض البوار واعمار الربوع الخراب واستزراع الحضارة واستنبات التقدم، وفي الاستعمار دلالة على أن أهل الأرض مغلوبون على أمرهم، وأنهم في اشد الحاجة إلى من يستثمر لهم أراضيهم ويشيد لهم معمارهم، ويستخرج ما في خزائنهم الطبيعية من ثروات، ولما تشكلت عصبة الأمم سنة 1920 أضفت على الاحتلال شرعية كاذبة، وأرادت أن تستر عورة الفعل بستار اللغة فقالت هو "**الانتداب**" وفي هذا اللفظ إعراض عن الحديث عن الذين وقع عليهم الفعل والتفات إلى من يوكل إليه أمرهم: كيف نختاره لهم وكيف نتخيره ونصطفيه فننتدبه، حتى لا نقول إننا فرضناه عليهم واغتصبنا إرادتهم، " ولم يمض عقدان ونصف حتى أصبح اللفظ فاضحا لذاته، فجاءت هيئة الأمم المتحدة سنة 1945 وأقامت مقام لفظ الانتداب لفظا آخر هو"الوصاية" وهو يعني إعلان صريح عن قصور الموصى عليه[6].

لقد احتلت الجزائر مدة قرن واثنين وثلاثين عاما، مارس فيها المحتل الفرنسي الغاشم كل أساليب التنكيل والبطش والتخريب، ومع ذلك لا يزال الكثيرون يعتبرونه"استعمارا"، بل بلغ الأمر إلى حد تمجيد تلك الفترة المظلمة وصادق البرلمان الفرنسي في 23 فيفري 2005 على قانون تمجيد الاستعمار، كما تم تنصيب مؤسسة"الذاكرة لحرب الجزائر وتونس والمغرب.

ولقد احتلت فلسطين من قبل الجيش البريطاني في عـام 1917 وتم توصـيف هـذا الاحتلال على انه "انتداب" من بريطانيا عليها من قبل عصبة الأمم.

2ـتعبيرات المجال السياسي:

وفيما يلي نورد الأمثلة التالية التي يمكن أن تشرح قوة الكلمات وشدة تأثيرها عنـدما تستخدم في الميدان السياسي:

أ- "**ووترجيت**" Watergate: على الرغم من أن هذه الكلمة في وقت مـن الأوقـات كانت تشير إلى فندق فاخر ومجمع سكني على ضفاف نهر ال"بوتوماك" في واشنطن العاصمة، إلا أنها ارتباطها بفضيحة سياسية، وأصبحت لا تدل إلا عليها، وتوارى بعد ذلك معناها الأول[7].

ب- "**مؤتمر أنابوليس**": والذي عقد في 27 نوفمبر 2007 وتم اختيار هـذا المكـان لأنـه يستحضر وقائع الحرب الأهلية الأمريكية، أين كان يتم مداواة الجرحى المهـزومين في مستشفيات هذه المدينة، ويكون ذلك مشروطا بالاستسلام وبطلب الغفران، وبالقياس على ذلك فان العرب المشاركين إلى جانب "المحتل الاسرائيلي" ينطبق علـيهم نفـس الموقف.

3ـ تعبيرات المجال الديني:

تختلف وسائل الإعلام في توصيف العمليات التي تقوم بها حركات المقاومة في منـاطق متعددة من العالم، والتي عجز الفكر الغربي عن إيجاد تفسير لمن يفدي حياته مقابل إلحـاق الهلاك بأشخاص آخرين[8]: المقاومون، الانتحاريون، الاستشهاديون، الإرهـابيون، فكـل مصطلح من هذه المصطلحات تنجر عنه تبعات سياسية معينة تبعا للدلالات التي توحي بها، .بمعنى ليس هناك مجال لضمان الحياد التام والموضوعية المطلوبة.

أ- "**دولة إسرائيل**": تشير إلى شرف الانتساب إلى إسرائيل، وفيها استحضار للمعـاني الدينية المرتبطة بمعاناة النبي يعقوب عليه السلام، وهنا إشارة إلى أن اليهـود الـذين

استوطنوا بفلسطين في معاناة تستحق الشفقة والعطف انسانيا، وتأكد هـذا الأمـر قانونيا من خلال قانون معاداة السامية"

ب- **التبشير الديني**: التي أصبحت تجري على ألسنة الصحفيين في كثير من وسائل الإعلام المرئية والمسموعة والمكتوبة من دون الانتباه إلى خطرها الايديولوجي والديني، فانـه يسعى -من خلالها- إلى خلخلة يقينيات المسلم، من خـلال التسـويق للحمولـة العاطفية التي تدل عليها. انه هو المبشر الحامل للخير والمحبة والسلام، بينما يدل غيره على التنفير والإرهاب[9]

ج- **موقعة الجمل**: وهي من الناحية التاريخية تشير إلى معركة وقعت في البصرة عـام 36 هجرية بين قوات أمير المؤمنين علي بن أبي طالب والجيش الذي يقـوده الصـحابيان طلحة بن عبيد الله والزبير بن العوام بالإضافة إلى أم المؤمنين عائشة-رضي الله عنها- التي قيل أنها ذهبت مع جيش المدينة في هودج من حديد على ظهر جمـل، وسميـت المعركة بالجمل نسبة إلى هذا الجمل[10]

واستعمل الإعلام المصري نفس التعبير للدلالة على هجوم قادته مجموعـات تمتطـي الجمال والاعتداء على متظاهرين في ميدان التحرير بالقاهرة مصر صباح الأربعاء 2 فيفري 2011، وراح ضحيتها 11 فردا وإصابة 1300 جريح.كما استخدم الإعلام العراقي نفـس التعبير حين نقل خبر اتهام 70 نائبا اغلبهم من القائمة العراقية عمليات نينوى بتكرار"موقعة الجمل" مطالبين بإجراء تحقيق شامل في الانتهاكات التي تعرض لها المتظاهرون في سـاحة الأحرار وسط الموصل في 07 جانفي 2013[11] .

4ـ تعبيرات المجال اللغوي "الحقوق اللغوية":

فهي في ظاهرها ترمي إلى الإنصاف والعدالة، ولكنها في باطنها تسعى إلى تقـويض التماسك المجتمعي والسلم اللغوي، بزرع الفتنة اللغوية بين أبناء الشعب الواحد[12].كما أنها تبطن أيضا دعوة للمطالبة بهذه الحقوق، فما ضاع "حق" وراءه طالب.

5ـ **تعبيرات المجال العسكري**:

أ- **إعادة الانتشار**": وهو اصطلاح ظاهره يشير إلى تكتيك عسكري ظرفي، قد يتبع بإجراءات أخرى قد تكون أشد وقعا وتأثيرا، مما يضفي على الجيش الذي يقوم بذلك طابع القوة والغلبة واختيار الوقت المناسب لكل قرار، بينما يخفي هذا المصطلح إجراءا عسكريا قد يكون غالبا انهزاميا أو نكوصا اضطراريا عن تحقيق الأهداف من خلال الانسحاب.

ب- **النيران الصديقة:** تؤدي التعبيرات الإعلامية إلى تحقيق غايات سياسية في زمن الحروب، مثلما يبرز ذلك في المثال الآتي:

"في يوم 14. 04. من عام 1994 كانت مروحيتان أمريكيتان تحلقان شمال العراق، وكانتا تقلان 26 من القيادات العسكرية المتحالفة بين أمريكيين وفرنسيين وبريطانيين وأتراك، فوجهت إليهما طائرة أمريكية مقاتلة F16 صواريخها وأسقطتهما فمات جميعهم. طلع "بيل كلينتون" ليعترف مصرحا "أسقطنا خطأ طائرتين أمريكيتين فوق العراق" فكانت الكارثة كارثتين: الإصابة والاعتراف، أي الفعل العسكري والإفضاء باللغة المكشوفة.

فتحركت الآلة الإعلامية كي تسبل الستائر على الهنة التصريحية، واشتغلت ورشة صناع الخطاب فيما يشبه حالة الطوارئ، وتمخض التركيز الجماعي على ابتكار صيغة تجر اللغة جرا نحو بلاغة المجاز، فقيل إن المروحيتين سقطتا بفعل **"النيران الصديقة"**. هي إذا "كلمة" ينتج عنها متصور ذهني جديد، وبعد ترويجها تكتسب طاقة اختزال الفعل السياسي لتثبيته على مقاس الصورة اللغوية المبتكرة، والمهم في ذلك الظرف هو تشغيل تقنيات "التغييب" وتسخير اللغة لهذا الغرض المحدد. فعبارة "النيران الصديقة" تجمع بين الضدين فتمتص (الصداقة) جزءا من لهيب النار، فيغيب شبح الخطأ العسكري المقيت، ذلك أن فكرة الخطأ العسكري مع التصريح الرسمي اعترافا به ينال من صدقية التفوق "[13].

ج- **أحداث ال 11 سبتمبر 2001**: ورغم أن التسمية الحقيقية هي"الهجوم على مركز التجارة العالمي والبنتاغون" وقد تفادى استخدام المعنى الحقيقي حتى لا تثير تشفي العالم الذي يضمر كراهية لهم، فاستبدلت بتسمية أخرى أكثر حيادية.

د- **حرب الخليج**: ونفس الأمر ينطبق على تعبير وهو في حقيقته "عدوان أمريكي وغربي على العراق"، وكأن الأمر لا يعدو أن يكون قتال بين جيشين في أرض محايدة، وليس فيها طرف معتدي وآخر معتدى عليه.

6ـ تعبيرات المجال الاقتصادي:

الفوائد المصرفية: وهي في حقيقتها الربا الذي ورد النهي عنه في مواضع كثيرة من القران والسنة، كمثل قوله تعالى: "**الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس ذلك بأنهم قالوا إنما البيع مثل الربا وأحل الله البيع وحرم الربا**" سورة البقرة، الآية 275

7ـ تعبيرات المجال الاجتماعي

تشير العديد من الإحصائيات أن أعداد الأطفال المولودين بطريقة غير شرعية تزايد عددهم بصورة ملحوظة، بحيث تحولت إلى ظاهرة اجتماعية تحتاج إلى معالجة من جوانب متعددة، ولعل من الجوانب التي تحتاج إلى مراجعة وإعادة نظر بناء على اعتبارات المصلحة الفردية والاجتماعية هي مسألة"التسمية"، وهي إشكالية حقيقية لأن التوصيف المناسب الذي يطلق على هذه الفئة يؤدي إلى نتائج ايجابية.

أ- **الأمهات العازبات**: هو ترجمة لتعبير الأجنبي Les femme célibataire: الأم في سياقنا القيمي والثقافي يطلق على المرأة المتزوجة بطريقة رسمية وشرعية، وأنجبت ولدا أو أكثر[14].

ولكن توصيف المرأة التي أنجبت ولدا بطريقة غير متعارف عليها قانونيا واجتماعيا يعتبر إضفاء لتوصيف على فعل غير مشروع، الأمر الذي يجعله مستساغ اجتماعيا على الرغم من أنه مرفوض ثقافيا.

ب- الأطفال"الضحية": هناك عدة تسميات تطلق على الأطفال الذين يولدون بطريقة غير شرعية، وكل تسمية تحمل دلالات معينة، وربما مآخذ لا يمكن تجاوزها، وتوظيفها إعلاميا قد تنجر عنه انعكاسات متعددة:

1- **الأطفال المهمشون**: استبعاد الجاني وتعميم المسؤولية على الجميع، وبدل أن ينسب الخطأ إلى المتسبب فيه يتم تمييع الوصف ليشمل الكل.

2- **الأطفال المتخلى عنهم**: الفاعل مبني للمجهول، استبعاد الفعل، إشعار المجني عليه بالحاجة.

3- **الطفولة المسعفة**: استبعاد الجاني، استبعاد الفعل، إشعار المجني عليه بالحاجة

4- **ابن الزنا**: التركيز على الفعل، غياب الفاعل

5- **الأطفال مجهولي النسب**: هذه تسمية تنم عن تخلف عما يشهده العصر من تطورات علمية تمكن المجتمع من الكشف عن النسب اعتمادا على التركيبة الوراثية ADN))

6- **الطفل المهمل**: استبعاد الجاني، واستبعاد الفعل، والإشارة إلى النتيجة دون السبب.

ثالثا: **اللغة الإعلامية في ميزان القيم**:

1ـ **التناقض مع القيم الثقافية**:

تشكو العديد من الألفاظ المستخدمة لتوصيف بعض الظواهر من الانفصام النكد بين الدال والرباط القيمي والحضاري الذي يربطه بها، مما يجعله غير متناسق مع ثقافة البيئة ومقوماتها.

على سبيل المثال كتب "عبد الحليم قنديل" في جريدة القدس العربي ليوم 23 ديسمبر 2012 مقالا اختار له عنوان" مصر في البرزخ"، ف"البرزخ" هو مصطلح ديني في العقيدة الإسلامية يشير إلى مرحلة انتقالية بين الموت والبعث، واستعماله إعلاميا للتعبير عن واقع اجتماعي دنيوي قد نختلف في رؤيته وتقييمه، يجعل البعض يعتبره استخفاف بمعتقدات

دينية، وقد يفهم كذلك بأنه مبالغة رمزية تتجاوز الواقع المراد وصفه وهنا يكيف بأنه تغليب للرأي على الخبر، وتعبير عن الذاتية، وهذا ما يتناقض مع مواثيق الشرف الإعلامية.

ومن الناحية الاجتماعية فان هذا التوصيف لا يكون مستساغا، لأنه قد يصطدم ببعض مكونات الهوية –والتي يعتبر الدين جزءا رئيسيا فيها في سياقنا الثقافي– مما يجعل الأفراد يدركون الفكرة بطريقة سلبية، عندما يقارنون دلالات لفظ"البرزخ" في مخزون ذاكرتهم ووعيهم، وبين توظيف المصطلح في التعبير عن واقع أو حالة ما مختلف حولها، مما يجعلهم يعتبرون توظيف اللفظ في غير موضعه.

2ـ تجريد اللغة من أبعادها القيمية والثقافية والحضارية:

"إن الأصل في اللغة احتواء القيمة ونقلها"[15]

"فاللغة تتميز بقيمتها الممثلة لثقافة، أو حضارة متميزة، ومتى تراجعت أو تلاشت القيمة، لا تعود اللغة أداة ثقافة أو حضارة، بل تصبح مجرد أصوات تستخدم لتحقيق بعض المنافع ليس إلا"[16]

فلفظ "الشهيد" مثلا يتضمن معنى التضحية في سبيل قيمة عليا، لـه ارتباط بجزاء أخروي، كما يتضمن شحنة دينية لها ارتباط بقيم المجتمع الدينية، وهو يختلف عن دلالة لفظ"منتحر" الذي يتضمن دلالة مرفوضة قيميا، ويترتب عليها عقاب أخروي.

لا ريب أن تقليد الآخرين والاكتفاء بالترجمة الحرفية البعيدة عن السياق الثقافي والقيمي يجعلنا في موقف من يركب القطار بدون بطاقة هوية، وهويتنا هي الأفكار التي تحملها اللغة وترتبط بقيمنا الثقافية والحضارية، وتتجلى مثلا في نظرتنا إلى الأسرة وقدسية رباطها، وقيم التعامل مع الأبناء والآباء...

ولذلك فان الترجمة الحرفية لا تفي بالغرض قيميا وثقافيا، لأنها قد تنقل أفكارا خاطئة ومضللة ترتبط بالسياق الثقافي والحضاري للغة الأصلية.

3ـ **"الممنوعات الثقافية"والألفة الاجتماعية**:

إن الإصرار على توظيف بعض المصطلحات التي تعكس بعض السلوكيات أو المظاهر السلبية مثلا قد يضفي نوعا من "المشروعية الاجتماعية" عليها، كان نقول "الاستعمار"، "الأم العازبة"...، بحيث ينتقل من كونه أمرا مستهجنا لا يسوغ الاقتراب منه إلى واقع مألوف لا يثير الاستياء، وهو أمر قد ينجر عنه الكثير من التطبيقات السلوكية الاجتماعية السلبية.

ويمكن تشبيه ذلك بالشخص الذي يستمع مثلا إلى الكلام البذيء، فانه إن استمر على هذه الحال، فان درجة ممانعته النفسية لهذا العنف اللفظي تتناقص مع مرور الوقت وتكرار الاستماع، فتحدث نوع من الألفة مع اللفظ البذيء، وربما انتقل هذا الفرد إلى التطبيق السلوكي ويتلفظ بألفاظ بذيئة، وربما أصبح جزءا من حديثه العادي.

رابعا: خلفيات التضليل اللغوي في وسائل الإعلام:

1ـ **الإيديولوجية الإعلامية**:

وتتمثل علاقة الايديولوجيا[17] الصحفية بالمصطلحات الإعلامية المستخدمة، أن رجل الإعلام إذا كان ملتزما بالقيم الدينية للمجتمع فانه يكون شديد الحساسية تجاه التعابير التي يستخدمها، ويتحرى الدقة في ما يستخدمه من مصطلحات، فلا يسوغ مثلا أن يستبدل لفظ"المقاوم" الذي يدافع عن أرضه بلفظ"الإرهابي"، ومن الأمثلة التي تساق في هذا الإطار والتي تدل على حالة الارتباك والتيه أن بعض الصحف الجزائرية أطلقت وصف "المجاهد" على "بيار شولي" الذي يقال أن له مواقف مؤيدة للثورة الجزائرية، لكنه لم يكن يدين بالإسلام، ومصطلح"الجهاد" يحمل شحنة دينية إسلامية، لصحابها الثواب الجزيل عند الله تبارك وتعالى، ولا يكون ذلك لغير المسلم.

وحسب بعض الدراسات[18] فان النخبة في الجزائر منقسمة إلى فريقين، وجوهر هذا الانقسام مبني على أساس إيديولوجي، وقد تكون مكانة الدين اجتماعيا هي الأساس الذي يفسر مظاهر الانقسام وتجلياتها حول: اللغة، المدرسة، التاريخ، الاقتصاد، المعرفة، القانون، الأسرة، وغير ذلك من القضايا.

وبناءا على ذلك فان الاختلاف لدى النخب الإعلامية ينسحب أيضا إلى مجال التعامل مع المصطلحات والتعابير الاجتماعية، وهنا يرجح البعض الاحتكام إلى القيم الدينية في رؤيته للأشياء، وقد يرفض البعض الآخر إقحام هذه القيم الدينية في مجال العمل الإعلامي.

2ـالتبعية الإعلامية:

يشير الدكتور عبد الرحمن عزي إلى "أن استيراد البضاعة الإعلامية الغربية في شكل أفلام ومسلسلات وبرامج تفاهية وأخرى اجتماعية ونفسية وقبولها ودبلجتها وبناء جمهور يتعلق بهذه المضامين إنما يتعلق بتعبيرنا"بالقابلية الإعلامية للتبعية"[19]

و لم تقتصر التبعية على المضامين الإعلامية فقط، بل تعدى الأمر إلى استيراد المصطلحات الأجنبية والاكتفاء بالترجمة الحرفية فقط، دون الالتفات إلى خطورة المعاني التي تحملها في سياقها اللغوي الأصلي[20]

وعلى سبيل المثال نجد أن وسائل الإعلام العربية تستخدم على نطاق واسع تعبير"دول الساحل الإفريقي"، وهو أمر لا يعكس مواقعها الجغرافية الحقيقية، بل هي في حقيقة الأمر "دول السهل" لان أرضها منبسطة، ولكن لأن الفرنسيين لا يوجد في لغتهم حرف "الهاء" فأخذوا الكلمة العربية عن المختصين العرب واستعملوا النطق الفرنسي، وبدل أن نحافظ على التسمية الأصلية بنطقها السليم، أخذنا عنهم التعبير الذي يثير الالتباس.

3ـالأخلاقيات الإعلامية:

لا يمكن فصل التعابير عن القيم التي تحملها، لأن "اللغة أداة لنقل القيم"، كما أنه من الصعب فصل أداء القائم بالاتصال وأخلاقياته عن التعابير التي يستخدمها.

يمثل الجانب الأخلاقي العمود الفقري الذي تقوم عليه الممارسة الإعلامية، وبدونه تستحيل العملية الإعلامية إلى دعاية مغرضة تهوي برجل الإعلام إلى أدنى دركات التردي الإعلامي وما يكتنفها من أفول الضمير المهني وانعدام المسؤولية.

ولا ريب في أن الأبعاد الأخلاقية تتجاذبها أطر فلسفية وإيديولوجية مختلفة، ولكن في سياق موروثنا الثقافي والحضاري نجد منظومة أخلاقية متكاملة لا يشوبها نقصان من بين يديها ولا من خلفها.

وتلعب الأخلاقيات الإعلامية دور الرقابة الذاتية على ممارسات الإعلاميين، وبالتالي تلعب دورا في المصطلحات والتعابير التي يستخدمونها على اعتبار أن الكلمة أمانة، "**ألم ترى كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون**..."سورة إبراهيم، الآية 24

وكأن أثرها لا ينقضي، وخيرها لا ينتهي، وثوابها يبقى مستمرا حتى بعد موت صاحبها[21]

4ـ **الترجمة وإشكالية المدلول**:

إن الاعتماد على الترجمة الحرفية للمصطلحات والتعابير الغربية لا ينبغي أن يكون بمعزل عن المضامين الثقافية التي تحملها.

هناك ثلاثة عوامل عدها الباحثون أساسية في مسألتي التأثير في اللغة العربية وتطويرها وهذه العوامل هي: القران الكريم والصحافة والترجمة. أما الصحافة فقد "أدخلت على العربية من التعبيرات والأساليب التي لا تقل أهمية عن التعابير والأساليب التي أدخلتها لغة القران على لغة الشعر بفصيحها ومعربها"[22]

5ـ **النخبة والمجتمع المدني والفاعلية الاجتماعية**:

تلعب النخبة في المجتمع دورا فاعلا في التوعية والتحسيس والدفاع عن الخصوصيات الثقافية للأمة من خلال التنبيه إلى مكامن الخلل في جميع المؤسسات والهيئات. وتتوزع هذه النخب في مجالات متعددة: سياسية، إعلامية، دينية، ثقافية، اقتصادية..الخ، ويمكنها أن تقوم بدور فاعل في هذا الإطار.

خامسا: أبعاد التوصيف الإعلامي:

وهنا تطرح إشكالية هل يسوغ لنا في هذه الظروف المعاصرة أن نحافظ على نفس الاصطلاحات المستخدمة مع أن الواقع مختلف عما شهده المسلمون في أزمنة خلت[23]

ويمكن تحديد أبعاد التوصيف الإعلامي للظواهر عامة والاجتماعية منها على وجه الخصوص فيما يلي:

جدول من وضع الباحث يوضح المعايير الواجب توفرها في التعابير الإعلامية

الأبعاد	المعايير		
البعد الاجتماعي	العبرة. الرقابة	التضامن	الاندماج الاجتماعي
البعد السيكولوجي	البراءة	تقدير الذات	التوازن النفسي
البعد القيمي	الأصالة	التعبير	التجديد
البعد الإعلامي	اللغة	القيمة	الحكمة

1ـ **البعد الاجتماعي:**

ومن الناحية الاجتماعية فان الكلمات التي نستخدمها تنقل إلى الآخرين شحنات ايجابية أو سلبية، فقد تؤدي إلى الرفع من المعنويات أو إلى الحط منها.

ما من شك فان بعض الفئات الاجتماعية مثلا تحمل نظرة سلبية عن الأطفال المولودين بطريقة غير شرعية، مما يجعل علاقاتهم وسلوكياتهم تجاه هذه الفئة يشوبها الارتياب والشك وسوء الظن، وكأنهم مسؤولون عن هذه الوضعية، وهو ما يحول دون اندماجهم في المجتمع، ومن مظاهر العوائق الاجتماعية أن الأسر تمتنع عن مصاهرة هؤلاء الأفراد، ولنا أن نتخيل انعكاسات ذلك على المجتمع.

إن التضامن الاجتماعي يتخذ مظهرين أساسيين أولهما الطابع الرسمي والذي تسهر عليه الدولة بجميع هيئاتها ومؤسساتها، والثاني يقوم به المجتمع عن طريق منظماته الرسمية أو ما يعرف بالمجتمع المدني، ويكون التكامل بين الهيئات الرسمية ومنظمات المجتمع المدني السمة الأساسية الغالبة ضمن سياسة اجتماعية واضحة المعالم، تهدف إلى إدماج هذه الفئة اجتماعيا لكي تساهم بفعالية في البناء والازدهار الاجتماعي.

2ـ **البعد السيكولوجي**:

تشير الباحثة [24] Yvonne Oswald في كتابها "الكل كلمة قوتها، طور لغتك وأضيء حياتك Every Word Has Power, switch on your language and turn on your life""، أن الكلمات التي نستخدمها تتضمن طاقة سلبية منخفضة، وهناك كلمات تستخدم تتضمن طاقة ايجابية مرتفعة، وهي في الحاليتين تؤديان إما إلى حالة نفسية جيدة أو سلبية سيئة، وأن الفرد إذا أراد أن يغير من حياته لا بد أن يغير الكلمات التي يستخدمها إذا كانت تحمل دلالات سلبية.

واعتمادا على المثال السابق فانه من غير اليسير على الفرد أن يساهم في الحركية الاجتماعية إذا كان موضع اتهام في المجتمع لسبب أو لآخر، وعلى الرغم من أن هذه الفئة لا تتحمل ذنب الانحراف الاجتماعي إلا أن نظرات المجتمع تلاحق هذه الفئة، ولا تلتمس لهم العذر في ماهم فيه، وهذا قد ينعكس على تقديرهم لذواتهم واتزانهم النفسي لأنهم يفتقدون إلى الإشباع العاطفي الأسري، ويواجهون بالرفض الاجتماعي، وقد يقودهم ذلك إلى الانحراف لان المجتمع يرفضهم ولو بصورة غير معلنة.

3ـ**البعد القيمي**:

تعتبر اللغة تعبير عن قيمة معينة، وقد تعكس إيديولوجيا معينة، وهنا لا بد أن يؤخذ بعين الاعتبار أن لا تتوافق طريقة التعبير مع القيمة حتى تؤدي دورها على أفضل وجه.

أنظر المثال التالي: وعندما اشتد الحصار على ياسر عرفات، في شهر مارس 2004، أرسل صيحته: "يريدونني أسيرا أو طريدا أو قتيلا.. أنا أقول لهم: سأكون شهيدا، شهيدا،

شهيدا" وهي عبارة استدعى فيها الراحل المعاني الدينية التي يمكنها أن تهز وجدان كل مسلم يعرف قيمة هذا الكلمة، ومكانة صاحبها. وذلك بصرف النظر عن النوايا والمقاصد والتي قد لا تتوافق مع التصريحات العلنية، ومع ذلك فإنها ستؤتي أكلها عند المتلقين وتجعلهم يتضامنون مع قائلها أيا كانت درجة مطابقتها لما يبطنه من نوايا وما يخفيه من أهداف.

4-**البعد الإعلامي**:

وهنا يجب أن تكون الصياغة اللغوية دقيقة، تعبر بصورة شاملة عن المفهوم، ولا تتضمن أي نوع من التضليل أو تغليط الرأي العام.

ومن جهة ثانية يجب أن تعبر هذه الصياغة اللغوية عن القيم الأصيلة للمجتمع سواء أكانت من مصدر ديني أو مصدر اجتهادي انطلاقا من قيم دينية.وبالإضافة إلى ذلك من الضروري أن تكون هذه الصياغة بطريقة حكيمة.

تقول هذا جنى النحل تمدحه   وان تشأ قلت ذا قيء الزنابير
مدحا وذما وما جاوزت وصفهما   والحق قد يعتريه سوء تعبير

جدول[25] يوضح التباين في وصف مفردات الحدث لدى قناة الجزيرة وقناتي CNN/BBC

الموضوع	الاصطلاح المستخدم ضمن القنوات الفضائية		
	قناة الجزيرة	**قناة CNN**	**قناة BBC**
الجدار الذي أقامته إسرائيل في الأراضي المحتلة	جدار العزل العنصري	الحاجز الأمني	الحاجز

الأراضي الفلسطينية	الأراضي المحتلة	الأراضي المتنازع عليها	الأراضي المتنازع عليها
حصار الرهائن في سيلان في روسيا	المسلحون الشيشان	الإرهابيون	محتجزوا الرهائن
المقاومة في العراق وأفغانستان والشيشان	المقاومة أو المقاتلون	الإرهابيون	المسلحون أو المتطرفون
العراقيون والفلسطينيون في سجون الاحتلال	الأسرى	المحتجزون	النزلاء
دخول العراق	احتلال العراق	عمليات تحرير العراق	الحرب
أبو مصعب الزرقاوي	أبومصعب الزرقاوي	الرأس المخطط للإرهاب	الإرهابي
تغطية عملية عسكرية في العراق	قصف أمريكي يؤدي إلى مقتل 45 شخصا وجرح ثمانين آخرين	مقتل مجموعة من الأشخاص في مأوى للإرهابيين	قصف أمريكي مركز على مواقع مشتبهة للمسلحين

خاتمة: "إن أسوأ شيء يمكن أن نفعله للكلمات هو الاستسلام لها...إذا كان يتوجب على اللغة أن تكون وسيلة للتعبير وليس للتستر أو الوقوف حاجزا أمام الفكر، فعلينا ترك المعنى يختار الكلمات وليس العكس"[26] جورج أورول.

لعل مما يجدر التنبيه إليه في ختام هذه الورقة **أن** "التسمية" وإطلاق التعابير التي تعكس الظواهر الموجودة في المجتمع تحتاج إلى إعادة نظر، إن توصيف الابن الذي جاء بطريقة غير شرعية يحتاج إلى مراجعة، فإطلاق وصف "المسعفة " يحمل في طياته شحنة سلبية لا تخدم أصحابها وليست في صالح المجتمع، إذن كيف يمكن وصف الابن الذي جاء بطريقة غير شرعية، ماهو اللفظ الذي يحقق مصلحة المجتمع ويحد من الانحراف الخلقي، ويحقق في الوقت ذاته مصلحة الفرد المعني ويحميه من نظرة المجتمع السلبية؟

وهناك العديد من الظواهر والقضايا التي تحتاج إلى إعادة نظر عاجلة فمثلا ماهو اللفظ الذي يناسب الشخص الذي يعاني من إعاقة، هل يسوغ مثلا أن نضع له بطاقة مكتوب عليها"بطاقة معوق"، ألا يؤثر ذلك على نفسيته ويعيق تفاعله الاجتماعي؟

هذه جملة من الإشكالات التي تحتاج إلى مراجعة وإعادة ضبط في ضوء الأبعاد السيكولوجية، والاجتماعية، والقيمية والإعلامية، حتى تتحقق الدقة في استخدام التعابير والمصطلحات المناسبة، والتي تحمل مضمونا قيميا وتحقق مصلحة اجتماعية، وهذا أمر لا يمكن أن يرى النور دون جهد المخلصين من القائمين على مجامع اللغة العربية والهيئات المختصة في العلوم الاجتماعية والسيكولوجية والإعلامية.

الهوامش:

1 عبد السلام المسدي، السياسة وسلطة اللغة، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية، 2007، ص 9

2 محمود عكاشة، خطاب السلطة الإعلامي، القاهرة، الأكاديمية الحديثة للكتاب الجامعي، 2005، ص 97

3 عبد السلام المسدي، مرجع سابق، ص 165

4 كلود يونان، طرق التضليل السياسي، بيروت، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، 2009، ص 11

5 المرجع السابق، ص 17

6 عبد السلام المسدي، مرجع سابق، ص ص 197، 198

7 قرر الرئيس ريتشارد نيكسون التجسس على مكاتب الحزب الديمقراطي المنافس في مبنى ووترغيب، وفي 17 يونيو 1972 ألقي القبض على خمسة أشخاص في واشنطن بمقر الحزب الديمقراطي وهم ينصبون أجهزة تسجيل مموهة. كان البيت الأبيض قد سجل 64 مكالمة، فتفجرت أزمة سياسية هائلة وتوجهت أصابع الاتهام إلى الرئيس نيكسون، استقال على اثرها الرئيس في أغسطس عام 1974.
Ar.wikipedia.org/wiki/

8 صرح رئيس جهاز مكافحة الإرهاب في فترة الرئيس الأمريكي رونالد ريغن في 11-09-2001 على قناة السي آن آن: "ليس الفلاح أن تكتشف الولايات المتحدة الفاعل ولا أن تعاقب دولة ضعيفة، إنما النجاح أن تفسر هذا الكم الهائل من الحقد عليها بحيث يرمي الناس أنفسهم للهلاك حتى تهلك هي"

9 عبد الله ايت الأعشير، مكر اللغة ودهائها، الكويت، مجلة الوعي الإسلامي، العدد556، نوفمبر2011، ص 60

10 موقعة_الجمل/Ar.wikipedia.org/wiki

11 جريدة المدى، العدد 2700، الثلاثاء 15 كانون الثاني2013

12 عبد الله ايت الأعشير، مرجع سابق، ص 61

13 عبد السلام المسدي، مرجع سابق، ص ص288، 289

14 ومن الناحية الدينية، نجد أن التعبيرات القرآنية دقيقة جدا في هذا المجال:

1- امرأة: استخدم مصطلح **امرأة** في قوله تعالى: "وضرب الله مثلا للذين امنوا امرأة فرعون"ضرب الله مثلا للذين كفروا امرأة نوح وامرأة لوط كانتا تحت عبدين من عبادنا صالحين فخانتاهما"، **2-زوجة:** استخدم مصطلح **زوجة** في قوله تعالى: "وقلنا يا ادم اسكن أنت وزوجك الجنة".ومن إعجاز التعبير القرآني العظيم في التفريق بين"زوج"، و"امرأة" ما جاء في إخبار القران عن دعاء زكريا عليه وعلى رسولنا أزكى الصلاة والسلام، أن يرزقه ولدا"وكانت امرأتي عاقرا فهب لي من لدنك وليا".وبعدما زال المنع من الحمل وولدت لزكريا ابنه يحي فان القران لم يطلق عليها"امرأة" وإنما أطلق عليها كلمة"زوج": "فاستجبنا له ووهبنا له يحي وأصلحنا له زوجه".**3-الوالدة**: استخدم مصطلح"**الوالدة**" على المرأة التي تنجب أطفالا بغض النظر عن مواصفاتها وصفاتها الحسنة أو القبيحة14 مثل قوله تعالى: "وقضى ربك ألا تعبدوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا" حتى ولو كانا على الكفر، وقوله تعالى: "والوالدات يرضعن أولادهن حولين كاملين لمن أراد أن يتم الرضاعة".**4-الأم:** يطلق القران الكريم كلمة"الأم" على الأصل الطيب لكل شيء عظيم. فمكة أم القرى لأنها مهبط الرسالات السماوية، وهو رمز التضحية والفداء والطهر والنقاء والحب والحنان، وهي الأصل الذي يتشرف الولد به، ويفخر بنسبه له ونسبته إليه14.استخدم مصطلح **أم** في قوله تعالى: "ما المسيح بن مريم إلا رسول قد خلت من قبله الرسل وأمه صديقة.." المائدة، الآية 75.ووصف زوجات النبي-صلى الله عليه وسلم-"النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم وأزواجه أمهاتهم".ووصف معاناة الأم "ووصينا الإنسان بوالديه إحسانا حملته أمه كرها ووضعته كرها"

15 عبد الرحمن عزي، فقه اللغة وعنف اللسان والإعلام في المنطقة العربية، في كتاب: اللسان العربي وإشكالية التلقي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2007، ص 13

16 المرجع السابق، ص 36

17 وعرف "هال" الأيديولوجيا بأنها أطر ذهنية تشتمل على اللغة والمفاهيم والتصنيفات والتصورات الذهنية وأنساق التعبير التي تنشرها وتتداولها مختلف الجماعات والطبقات الاجتماعية لإضفاء معنى وتحديد التصورات والتفسير الجلي لما يحدث في المجتمع والواقع المحيط، انظر كتاب: زكريا احمد، نظريات الإعلام مدخل لاهتمامات وسائل الإعلام وجمهورها، المكتبة العصرية للنشر والاشهار والتوزيع، 2009، ص ص 292، 293

18 أم الخير تومي، الخطاب الإعلامي والازدواجية الثقافية بالجزائر، أطروحة دكتوراه قسم علم الاجتماع، كلية العلوم الاجتماعية، جامعة وهران، الجزائر، 2010

19 عبد الرحمن عزي، حفريات في الفكر الإعلامي القيمي، تونس، الدار المتوسطية للنشر، 2011، ص 20

20 انظر مثلا: kill time قتل الوقت; ذر الرماد في العيون To throw dust in the eyes; اللعب بالنار To play with fire …

21 وليد ابراهيم قصاب، علم البيان، دمشق، دار الفكر، 2012، ص 72

22 علي يونس الدهش، الأساليب الانجليزية في اللغة العربية المعاصرة: الرفض التام أم القبول المشروط؟، كتاب المؤتمر الدولي السابع للغة العربية 2011، دور اللغة العربية في عملية البناء الحضاري، ص 376

23 على سبيل المثال: إن اصطلاح "دار الإسلام"، و"دار الحرب" لم يعد مناسبا في زمننا المعاصر، لان العديد من البلدان التي فيها أغلبية لا تدين بالإسلام، تتوفر فيها حريات دينية لا نجدها في سواها من الأماكن، بما فيها التي تحسب على "دار الإسلام".

24 أخصائية صحة ذهنية، وخبيرة في البرمجة اللغوية العصبية، وخبيرة في مؤسسة لتعليم الرياضيات والتدريس

25 حسن مظفر الرزو وآخرون، ثورة الصورة: المشهد الإعلامي وفضاء الواقع، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، 2008، ص 135

26 حسن مظفر الرزو وآخرون، مرجع سابق، ص 137